

في بيتنا سارق .. ماذا نفعل؟

المقدمة:

نعلم جميعًا ما للطفولة من أهمية في تكوين بدايات شخصية الإنسان، وما لها من تأثير في بقية أيام حياته، ولذلك فالطفولة هي أهم مراحل النمو النفسي للشخص فهي حجر الأساس لتكوين شخصية الطفل وإذا تم بناؤه بصورة صحيحة وسليمة نتج عنها شخص مثال يستطيع مواجهة صعوبات الحياة بكل ثبات.

ويجد الآباء والأمهات في أطفالهم عادة مصدر سرور ومتعة كبيرة - غير أن المسؤوليات الشديدة المرتبطة بالوالدية - قد تعيق وتعكر أحيانًا هذا السرور بحيث يتحول إلى نوع من القلق لديهم عندما يسلك أطفالهم بطريقة خاطئة أو غير مألوفة، والطفل الذي لم يكن مصدر هموم أو قلق بالنسبة لوالديه في إحدى مراحل نموه هو طفل فريد أو نادر.

وتعتبر السرقة من الجرائم الشائعة التي تتكرر بصورة متفاوتة في كل مجتمعات العالم.. وقد كانت ولا تزال الجريمة بأنواعها من الظواهر المرتبطة بتاريخ الإنسان على مر العصور.. ولا يكاد يخلو

مجتمع في العالم من نوع أو آخر من الجرائم.. ومثال على الحوادث اليومية للخروج على القانون، التي تحدث باستمرار، وتمثل أحد المصوم التي يعانها الناس؛ ومنها السرقة.. وتزدحم بأخبارها صفحات الحوادث في الصحف...

والسرقة ظاهرة تقلق الأهل أكثر من غيرها في سلوك الأطفال وهو ما يطلق عليه الأهل سلوك المجرمين، وبالتالي فإنهم يظهرون اهتماماً كبيراً بذلك، ففي كل عام يذهب حوالي ٢٥٠٠٠ طفل إلى الإصلاحية بسبب السرقة.

ويتعلم الأطفال أن السرقة عمل خاطئ إذا وصف الآباء والأمهات هذا العمل بالخطأ وعاقبوا أطفالهم في حال الاستمرار في ممارسته، بذلك يبدأ مفهوم السرقة بالتبلور لدى الطفل.

والسرقة من السلوكيات التي يكتسبها الطفل من بيئته أي أن الأمر عبارة عن سلوك اجتماعي يمكن اكتسابه عن طريق التعلم فالطفل الذي لم يتعلم التفرقة بين خصوصياته وخصوصيات الغير أو بين ملكيته وملكية الآخرين يفتقد التفرقة بين حقوقه وحقوق غيره.

إن كثيراً من الأشياء التي يسرقها الأطفال ليست بذات قيمة أو نفع لهم، وتبدأ السرقة كاضطراب سلوكي واضح في الفترة العمرية (٤-٨) سنوات.

وقد يتطور الأمر ليصبح جريمة في عمر ١٠-١٥ سنة، وقد يستمر الحال إلى المراهقة المتأخرة.. ويصبح هذا السلوك (السرقه) سلوكًا مرضيًا ومشكلة نفسية في هذا العمر ويحتاج إلى معرفة الأسباب وضرورة العلاج.

وتستمر السرقه خلال فترات النمو النفسى والبدنى للطفل، إما عملاً أو فعلاً مدبراً يقوم به بين حين وآخر.. أو سلوكاً مستمرًا من النشاط تتم ممارسته تقريباً كل يوم بهدف التمتع بالشىء المسروق وتفادى الانكشاف والعقوبة. والطفل السارق غالباً ما يكون مجهول الهوية أى غير معروف بسس ما يقوم به من محاولات تتر على نفسه وما يفعله وتختلف السرقه عن النهب أو السلب التى يمارسها الأطفال الأقوى أو الأكبر على الأطفال الآخرين كاشفين عن أنفسهم مع الفخر والزهو بما يفعلون.

ومن الأمور الشائعة لجوء الطفل السارق للإنكار التام عند مواجهته بالامر وهذه مشكلة في حد ذاتها.

إن التربية السليمة تعلم الطفل منذ نعومة أظفاره بأن الاعتداء على أملاك الآخرين من الصفات غير الاجتماعية التى يرفضها القانون و تتنافى مع الأخلاق وإن هذا الاعتداء سوف يسمونه الناس سرقه.

وفي الوقت نفسه على الأسرة ألا تتقبل سرقه الطفل لشيء ما على أنه ما زال طفلاً وأن ما أخذه هو من الأسرة لا من أحد آخر غريب

عن الأسرة لأن ما يتعلمه الطفل داخل الأسرة سوف ينتقل أثره إلى المجتمع.

والأمانة أمر يكتسب ولا يورث وهي من خصائص الخلق التي يعلق عليها المجتمع أهمية كبيرة، فالطفل لا يدرك الأشياء التي تخصه فيملكها، أو التي تخص غيره. ويساعده على هذا الالتباس في أوائل حياته أن أفراد الأسرة كثيرًا ما يشتركون في استعمال أشياء منزلية متعددة بينما يكون ميل الطفل إلى التملك قد أخذ ينمو والطريق الطبيعي لذلك أن يتعلم الطفل أن هناك أشياء معينة تخصه وهو يملكها وحده دون سواه، وأشياء أخرى تخص غيره من المحيطين به .

إن السرقة تشبه الكذب في كثير من الأوجه، وتظهر السرقة مع بعض الأطفال في المنزل أو في رياض الأطفال، حين ينمو لديه حب التملك ولا يجد شيئًا يملكه بالطرق الطبيعية فيجد أن السرقة أقصر طريق لتحقيق ذلك.

فالسرقة ليست حدثًا منفصلًا قائمًا بذاته، إنما هي سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ولا بد من فهم الدوافع إلى السرقة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها. ويعتمد الأطفال على البيئة التي يعيشون فيها في تكوين موقفهم الخلقى، غير أن السرقة ليست إلا وسيلة لغاية، والأشياء التي يسرقها الأطفال ليست في الحقيقة هدفهم الذي يعملون للوصول إليه، بل إن الشيء المسروق ليس سوى أداة تستخدم في إصابة الهدف المرغوب.

إن السرقة عرض شائع في حياتنا إلا أنه غير ظاهر بوضوح بسبب تردد الآباء وأفراد الأسرة في الإفصاح عن سرقات الأطفال أو الكبار داخل الأسرة ومناقشتها كظاهرة أمام الآخرين.

وقد يقترب منك ويشكو لك.. هذا الأب يشكو: اختفى من بيتي مبلغ كبير من المال ولم يكن هناك شخص غريب قد دخل البيت وابنه بالمرحلة الثانوية ينكر بشدة سرقة هذا المبلغ، وينتهي الموضوع.. وهذا زوج يشتكى اختفاء مبالغ مالية باستمرار من جيبه والزوجة تنكر تمامًا علاقتها بالسرقة.. وهذه زوجة يختفى منها بعض القطع الذهبية وهي متأكدة من أن زوجها له علاقة بالموضوع، إلا أنها لا تستطيع مواجهته خوفًا من لسانه وغضبه وقسوته.. وهذا شخص يختفى من حافظة نقوده مبلغ كبير من المال وهو في بيت أهله، ولا يوجد معه سوى الأخوات، وليس هناك شغالة بالمتزل، ويتكتم الأمر تمامًا خوفًا من رد فعل الأم أو الأب..

وهناك الكثير والكثير ممن يتعرضون للسرقة ويتكتمون الأمر خوفًا من الفضيحة..

.. إذن السرقة منتشرة وتمثل أحد الهموم التي يعانيها الناس وهي جريمة كبرى ومن أجل أهمية هذا الموضوع وشيوعه في بعض الأسر والبيوت أقدم هذا الإصدار من سلسلة ثقافة سيكولوجية للجميع... وسوف نبدأ سويًا مع تعريف السرقة، ثم أسبابها ودوافعها، والجوانب

الدينية والنفسية والاجتماعية للسرقة، والدور الذي يمكن أن تلعبه الأسرة في اكتساب الأبناء لظاهرة السرقة، موقف الإسلام من السرقة وبعض النماذج والحالات من السارقين، أهم طرق الوقاية من مشكلة السرقة وكيفية العلاج.. وذلك إلى جانب العديد من الجوانب والأمور المتعلقة بهذه المشكلة الخطيرة.. وذلك من أجل تنمية وعي الآباء والأبناء والمربين والجميع بهذه الظاهرة وكيفية مواجهتها بشكل جيد مما يحفظ للأسرة كرامتها وعزتها وأمنها.

وَأدعو الله أن أكون قد وفقت في عرض هذه المشكلة وأن ينتفع بهذا الإصدار المنفعة القصوى والمرجوة.

مفهوم السرقة

السرقة هي محاولة تملك شيء يشعر الطفل أنه لا يملكه، وعليه يجب على الطفل أن يعرف أن أخذ شيء ما يتطلب إذنًا معينًا لأخذه، وإلا اعتبر سرقة.

والسرقة مفهوم واضح لدينا نحن الكبار نعرف أبعاده وأسبابه وأضراره، ونحكم على من يقوم به الحكم الصحيح، ونستطيع تحاشي أن نكون الضحية.

أما الطفل فإنه لا يدرك تمامًا مفهوم السرقة وأضرارها على المجتمع ونظرة الدين والقانون والأخلاق إليها.

- ومن مفهوم السرقة أيضًا (انعدام الأمانة).

- والسرقة استحواذ الطفل على ما ليس له فيه حق، وإرادة منه، وأحيانًا باستغلال مالك الشيء المراد سرقة أو تضليله.. وهو سلوك مرضي يعبر عن حاجة نفسية لدى الطفل تحتاج إلى إشباع.

- والسرقة هي أخذ الشيء في خفية يقال: استرق السمع أى سمع مستخفًا.

وهناك عدة تعريفات أيضًا وردت في تعريف مصطلح السرقة، ومن هذه التعريفات:

- "هي آفة من الآفات التي تفتك بالشباب تقتل روح الأمانة والنبل والنقاء في نفوسهم، فالإقدام على انتهاك أموال وممتلكات الآخرين تعنى أن الشاب السارق يسلك أقصر الطرق للحصول على المال الذي يتطلب جهداً وعلماً وسعيًا وصبرًا في كسبه".

- "إن السرقة عمل غير مقبول عرفاً وشرعاً، ولذا فالجميع يبغضونه وينكرونها، وينظرون إلى فاعله بازدراء وحقارة، والآباء الذين يتلون بأولاد يمارسون هذا الفعل القبيح عليهم التمييز بين الطفل الصغير ذى الثلاث سنوات وآخر يتجاوز الخمس سنوات، فالأول لا يميّز بين الخير والشر، ولذا نجده لا ينكر ما أخذه من الآخرين، مقابل الثاني الذي يخفيه وينكر فعله".

- السرقة "هي اعتداء يحصل من البعض على ممتلكات الآخرين بدوافع مختلفة".

- "السرقة نوع من السلوك يعبر به صاحبه عن حاجة شخصية، أو نفسية، أساسها الرغبة في التملك بالقوة، وبدون وجه حق، أو بسبب العوز (الفقر والحرمان) والحاجة، وخاصة عندما يجد الطفل زملاءه يحصلون من ذويهم على كل ما يشتهون ويطلبون، وعدم قدرته على إشباع حاجاته ورغباته أسوة بزملائه".

الطفل.. والسرقه

لا يعرف الطفل قبل الخامسة بطبيعة الحال حقوق ممتلكات الآخرين الخاصة فهو لا يرى في استعمالها من قبله واجتيازها إلا شيئاً طبيعياً. فهذا ليس بسرقة ولكن مع مرور الزمن مع تمييز الطفل وحماية أهله للعبه وأشياءه من الأطفال الآخرين. ومع ضرب المثل الصالح من قبل الأهل، يصبح أكثر مقدرة على معرفة ما هو له وما هو لغيره. ولكن مع هذا يظل الطفل يأخذه أو يسرق إن جاز التعبير أشياء غيره بين الحين والآخر ولكن إن أصبحت السرقة عادة أو شبه عادة فلا بد عندئذ من الاستعانة باختصاصي نفسى للتوصل إلى معرفة السبب الذى يكمن فى بيئة الطفل غير السوية للعمل على إصلاحه.

وعندما يسرق طفل أو مراهق فإن ذلك يصيب الوالدين بالقلق. وينصب قلقهم على السبب الذى جعل ابنهم يسرق ويتساءلون هل ابنهم أو ابنتهم "إنسان غير سوى".

ومن الطبيعى لأى طفل صغير أن يأخذ الشيء الذى يشد انتباهه.. وينبغى ألا يؤخذ هذا السلوك على أنه سرقة حتى يكبر الطفل الصغير، ويصل ما بين الثالثة حتى الخامسة من عمره حتى يفهموا أن أخذ شيء ما مملوك للغير أمر خطأ.

وينبغي على الوالدين أن يعلموا أطفالهم حقوق الملكية لأنفسهم وللآخرين. والآباء في هذه الحالة يجب أن يكونوا قدوة حسنة أمام أبنائهم. فإذا أتيت إلى البيت بأدوات مكتبية أو أقلام المكتب أو أى شيء يخص العمل أو استفدت من خطأ الآلة الحاسبة في السوق، فدروسك في الأمانة لأطفالك ستكون من الصعب عليهم أن يدركوها.

ولذلك فإن السرقة عند الأطفال لها دوافع كثيرة ومختلفة ويجب لذلك أن نفهم الدوافع في كل حالة وأن نفهم الغاية التي تحققها السرقة في حياة كل طفل حتى نستطيع أن نجد الحل لتلك المشكلة.

في الطفولة تبدأ المشكلة

إذا تتبعنا التاريخ السابق لبعض اللصوص الذين يحترفون السرقة منذ الطفولة نجد أن التنشئة في الأسرة لم تكن في البداية سليمة تمامًا - فعالية الذين يحترفون السرقة كانوا منذ طفولتهم يعانون غياب القدوة السليمة، ونشأتهم كانت في بيئة لا تلتزم بالقيم الأخلاقية، وقد ثبت علمياً أن حوالي ثلث الأطفال الذين يرتكبون السرقات الصغيرة في الطفولة وأيام الدراسة يتحولون إلى حرامية ولصوص كبار فيما بعد... كما ثبت أن حوالي ٨٠٪ من محترفي السرقة قد بدءوا أولى خطواتهم في هذا الاتجاه بسرقات صغيرة وهم في مرحلة الطفولة!!

وتكون الفرصة أكبر للمجنوح - أي للانحراف - في الأطفال عند البلوغ في مرحلة المراهقة وقد ينتظم بعض منهم في عصابات تقوم بانحرافات وأعمال خارجة على القوانين منها السرقة والجرائم الأخرى. وتزيد احتمالات حدوث ذلك في القطاعات التي تعيش ظروفًا اقتصادية واجتماعية فقيرة، وعند حدوث انهيار في الأسرة نتيجة لانفصال الوالدين، ويحتاج هؤلاء الأحداث الجانحون إلى أسلوب يخلط بين الحسب والرعاية حتى لا يتحول غالبيتهم إلى مجرمين محترفين فيما بعد.

إن الطفل الذي يمارس السرقة بالرغم من عيشه بين أبويه اللذين لا يبخلان عليه بما أمكن من الألعاب والأموال الخاصة به، إن طفلاً كهذا تسهل معالجته وتقويمه من خلال التوعية من أسباب السرقة، إضافة إلى إثبات حاجته للمحنان، والتأكيد على استقلاليتها، ومساعدته على اختيار الأصدقاء.

والوالدين يجب أن يتعاملوا مع أبنائهم بعد بلوغهم الخامسة من العمر حين يمارسون السرقة بحزم وقوة، ولا تقصد بها القسوة والشدة، بل يكفي أن يفهم الطفل أن هذا العمل غير صحيح وغير مسموح به، ولا بُدَّ من إرجاع ما أخذته إلى أصحابه والاعتذار لهم.

ويجب الالتفات إلى نقطة مهمة وهي: أنه من الخطأ إشعار الطفل بالذم والعار، لأنَّ تصرفاً كهذا يدفع الطفل إلى السرقة وبشكل أضخم من الأول، ويدفعه إليه حبه في الانتقام ممن احتقره وامتهنه.

وقد تكون بعض مؤثرات السرقة قديمة، ترجع إلى أيام الطفولة، فالطفل الذي يسرق بعض حاجيات زملائه التلاميذ، أو إخوانه في البيت فلا يجد من يردعه ربّما تناول ليسرق حاجيات أكبر، وربّما أصبحت سرقاته الصغيرة سبباً لاعتياده على السرقات الكبيرة.

الشعور بالملكية والمساواة

وهناك اتجاه عقلي يبدأ من سنوات الطفل الأولى وهو عدم التمييز وفكرة التمييز بين ما للفرد فيه حق وما ليس له فيه حق ليست سهلة. فالطفل يعيش عادة في منزل كل ما فيه ملك للكبار فليس له ما يعده ملكاً له وأحياناً يعلق الأمر عليه فلا يعرف إن كانت لعبة معينة ملكاً له أو لغيره. والآباء بشرائهم لعبة واحدة لجميع الأطفال دون تمييز يظنون أنهم يعلمونهم الإيثار بدلاً من الأنانية والواقع أنهم يربكون تفكيرهم فالطفل يشعر بالحاجة للملكية شعوراً تلقائياً في سن مبكرة جداً إذ يبدأ يشعر بها أحياناً خلال الفترة الأخيرة من السنة الأولى.

ويجب أن يشجع الشعور بالملكية من وقت ظهوره ولكن لا يجوز أن يبالغ في تشجيعه إلى أن تتكون الأنانية والجشع للتملك ولا يجوز أن يهدم بحيث لا يجد الطفل فرصة لفهم حقوقه وحقوق غيره.

وإذا أردنا أن يحترم الطفل ملكية غيره وجب أن نبدأ نحن باحترام ملكيته فيجب بقدر الإمكان أن يكون للطفل أشياءه الخاصة به، وفي الأسر التي بها أطفال ذوو أعمار متقاربة تحدث أحياناً مشاحنات يحسن ترك الأطفال للفصل فيها بأنفسهم وإذا تدخلت الأم فلتفصل بالعدل فكل طفل يستعمل حقه ولكن يصح أن يعطى الخيار في أن يترك لعبته

لأخيه أحيانًا ولا بد من حدوث هذه المنازعات قبل أن يتعلم الطفل الأخذ والعطاء والتعاون بجدى متأخرًا عن تعلمه الملكية واعتزازه بها.

وإناء الشعور بالملكية ثم إتباعها فى الوقت المناسب بإنماء روح التعاون والأخذ والعطاء مهم فى تكوين الذات وفى التكوين الخلقى الاجتماعى على وجه العموم.

السرقفة والاستعداد لها:

إن السرقفة ليست حدثًا منفصلاً قائمًا بذاته وإنما هى سلوك يعبر عن حاجة نفسية. ويمكن فهم هذا السلوك فى ضوء دراسة شخصية الطفل وطريق تكونها والوظيفة التى تؤدىها السرقفة لها فىبنا نجد السرقفة فى الحالة الأولى وسيلة لإثبات الذات نجدها فى الحالة الثانية وسيلة لحماية الذات.

- ولا بد من فهم وظيفة السرقفة ومكانتها من تكوين الشخصية قبل الاتجاه نحو علاجها، والسرقفة وما يضادها وهى الأمانة، ليست صفات فطرية طبيعية، وإنما هى صفات مكتسبة. وللسرقفة أسسها انطبيعية فى الإنسان وهى الميل للتملك والاستمتاع بالقوة، إذ إن السرقفة هى الاستحواذ على ما يملكه الآخرون بدون وجه حق، ونظرًا لأن السرقفة ذنب اجتماعى فإن المجتمع يعطيها أهمية كبيرة بخلاف الصفات الشخصية السيئة كالتدخين أو العادة السرية فإنها لا تهم المجتمع كثيرًا لأنها لا تتناول فيها ينسب إليها من ضرر أشخاصًا

آخرين بطريقة مباشرة. أما السرقة والكذب والاعتداء والتشيع وما إلى ذلك فإنها تعتبر صفات سيئة للغاية لأن الضرر الذي تتضمنه يؤثر في الآخرين تأثيراً مباشراً.

- وهناك مهارات عقلية وجسمية تساعد على السرقة إذا توفرت لدى الشخص الرغبة فيها، ومن هذه المهارات سرعة حركة الأصابع وخفة الحركة عامة. ودقة الحواس من سمع وبصر والقوة الميكانيكية ووفرة الذكاء العام ودقة الاستنتاج والملاحظة.. وما إلى ذلك. ففى كثير من الحالات كان صاحب الحالة يفتح أقفالاً معقدة بقطعة من سلك ويقطع جيئاً لمسافر بموسى دون أن يحس المجنى عليه، أو غير ذلك من مئات الحيل والمهارات التى يلجأ إليها السارق وكثير ما تجتمع لباقة الحديث وبشاشة الوجه والميل للمساعدة مع هذه المهارات فتجعل عملية السرقة تتم بسهولة كبيرة للغاية، ويهنا الوقوف على هذه المهارات العقلية والحركية والخسية حتى يمكننا توجيهها فى اتجاهات لصالح صاحبها وصالح المجتمع نفسه.

وهناك بعض الأمور يجب أن توضع فى الاعتبار فى عملية السرقة:

* معظم الأطفال قد يسرقون أحياناً ولو لمرة واحدة على الأقل و لكن القليل منهم يداوم عليها بحرفية وعندما يكتشف الآباء ذلك للمرة الأولى فعليهم عدم المبالغة فى رد فعلهم تجاه ذلك فمعظم الأطفال يتعلمون بعد ذلك أن السرقة سلوك خاطئ.

* يعتبر تكرار السرقات بين الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والثانية عشرة مؤشرًا بأن الطفل قد يرتكب جرائم حقيقية فيما بعد كما أنها مؤشر على أن الطفل يعاني اضطرابات عاطفية خطيرة.

* أظهرت إحدى الدراسات أن عددًا هائلًا من الأطفال الذين تمت إحالتهم للتشخيص والعلاج النفسي لاتهمهم بالسرقة قد نشئوا في أسر تفتقد إلى الدفء الأسري أو الرعاية الشخصية.

* وعندما يكبر الأطفال يصعب ضبط السرقة واكتشافها و عندما تصبح السرقة مشكلة ملحوظة لدى طفلك فمن الأفضل التخلي عن الأسلوب الذي يلتمس للطفل لإثبات براءته بدلاً من إثبات إدانته.

مظاهر وبوادر تنبئ باحتمال تعرض طفلك لكارثة سلوكية:

هناك خمسة أنماط سلوكية يمكنك من خلالها التنبؤ بالمراهقين الأكثر عرضة لمخاطر السلوك الإجرامي مثل السرقة أو الإدمان.

فإذا انطبق على طفلك أحد تلك الأنماط الخمسة فاعلم أنه معرض للوقوع في مخاطر سلوكية.

- إذا أخفق الطفل إخفاقًا ذريعًا في دراسته.

- إذا تعرض الطفل في الماضي لإهمال أو إساءة أسرية.

- إذا كان الطفل سريع التأثر بضغط وقيم الأقران والأصدقاء.
- إذا كان الطفل يريد أن يثبت شجاعته واستعداده لخوض المخاطر.
- إذا كان الطفل ينحدر من أسرة تعتبر السلوك الإجرامى وسوء سلوك المراهقات أو الإدمان شيئاً عادياً.

الشباب... والسرقه

إن المشكلات التي تواجه الإنسان كثيرة وقد تصدى القرآن الكريم والسنة النبوية لمشكلة السرقة حفاظًا على الممتلكات والأرواح وقد قال الله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا تَكْلَفًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ وقد قال النبي ﷺ: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها).

وهذا يدل دلالة قاطعة على أن الإسلام يهتم بأمن المجتمع وحفظ الحقوق وصيانة الممتلكات واحترام حقوق الناس.

وحيث إن هذه المشكلة قد انتشرت في مجتمعنا بين أوساط الشباب فلا بد من التصدي لمعالجتها فالإسلام الذي يعلمنا احترام أموال الناس، ويشدّد في عدم الاعتداء عليها بـ (السرقة) أو (العصب)، والذي يرينا على أن نتصدّق عن صاحب (اللّقطه) إنّما الشيء الذي نجده في الشارع أو المدرسة أو الجامعة ولا نعرف صاحبه إذا لم نعر عليه نردّها إليه، حتّى لا يضيع مال لأحد، والذي يضع عقوبة قطع يد السارق حتّى لا نتجاوز على حقوق الناس وممتلكاتهم ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا ﴾ يعلمنا بكلّ تلك الدروس أنّ اليد ثمينة ما دامت أمينة فإذا خانت هانت ووجب قطعها.

وإذا لم يتلقَ ويعرف الشباب والمراهقون هذه الدروس ويهضموها جيّدًا، فإنهم سوف لا يترددون في سرقة جهود غيرهم بـ (الغش) في الامتحانات والسطو على إنجازاتهم، ولا يتورعون عن الاحتفاظ بحقيبة نقود، أو قطعة حلّي ذهبية يعثرون عليها في شارع أو سيارة، ولا يترددون عن مغافلة أصحاب المحلات ليسرقوا ما تقع عليه أيديهم وأعينهم.

إنّ الشباب أو الفتاة اللذين يختاران السرقة تلبية لحاجتها وطموحاتها يقضيان على طاقاتها بالموت ليحيا في نفوسها نزعة شريرة واحدة وهي نزعة السلب والنهب والطمع بها في أيدي الناس، فيحاولان سرقة قوتهم وجهودهم وحقوقهم، ولو بذلا جهداً، وهما القادران المتكئنان على تحصيل ما يريدان بالطرق النظيفة والشريفة لما أعجزهما ذلك، واستطاعوا الحصول عليه ولشعرا بالسعادة لما يحصلان عليه بكّد أيديها وعرق جبينها.

فالفوارق الفردية الاقتصادية قد تجعلنا نبذل جهداً أكبر لتضييق مساحتها والقضاء - ما أمكن - على بعض أسبابها، وأن نستذكر النعم الأخرى التي نتفوق بها غير المال والثروة، لكنّها لا يجب أن تدفعنا بحال إلى أن نكون لصوصاً نسرُق بيوت الناس لنعمر بيوتنا.

إنّ قيام عدد كبير من الشباب والرفاق بالسرقة وعمليات السطو لا تشكّل أو تعتبر سيّاً أو مبرراً لأن أكون سارقاً وأضيف رقمًا

آخرًا لقائمة اللصوص، فتقليدهم في السرقة لا يعفيهم من المساءلة أمام الله.

إنَّ للقيمة الحلال.. والكسب الحلال.. والمال الحلال.. والفوز الحلال، طعمه اللذيذ الذي لا يستطيع السارق أن يتذوقه، فكسرة خبز تكسبها عن طريق الحلال هي أطيب من مائدة حرام تتلذذ بها لوقت محدود وتدفع ثمنها لوقت طويل.

إنَّ وقفة متأنية لاستشعار الألم والأسف والمرارة التي يشعر بها المسروق ربِّيًا تعيد للضمير صفاءه فيتراجع السارق عن سرقة، فلو وضع نفسه في مكان المسروق منه، وتذكَّر ما سيصيبه عندما يجد ماله أو ما يملك مسروقًا فلربِّيًا منعه ذلك من التماهي في السرقة.

ويبقى العلاج الأكبر وهو في القضاء على العوامل المسيبة للسرقة، فالإسلام الذي لا يقيم الحدَّ على السارق في زمن المجاعة فلا يقطع يده، يقول: جفِّفوا موارد السرقة أولاً وقبل كل شيء.

أنواع السرقة وأشكالها

هناك نوعان من السرقة يجب أن نميز بينهما، السرقة التي يقوم بها الطفل العادى، والسرقة التي يقوم بها الطفل العصائى...

١ - السرقة عند الطفل أو الشخص العادى

فالطفل العادى قد يسرق ، فهو ببساطة يود إمتباع رغبة فى التملك أو أنه يكون مغامراً بين أصدقائه، ولم يميز بين ما يخصه وما يخص الآخرين، وكثير من الأطفال يقومون بهذا النوع من السرقة حتى سن معينة؛ وعندما يكبر الطفل وينمو الوعى لديه بصورة واضحة تقل حالات السرقة.

إذن كثير من الأطفال يقومون بالسرقة من النوع العادى حتى سن معينة. فنسمع كثيراً من مديرى المدارس أن التلاميذ يأخذون أو يقطفون ثمار حدائق المدرسة وزهورها. وعندما يكبر التلاميذ وينمو الوعى لديهم بصورة واضحة تقل حالات السرقة.

وسرقة التلميذ للمدرسة تعتبر حالة شائعة فالسرقة العامة تلعب فيها المغامرة دوراً مهماً وكذلك الاستعراض أمام زملائه وأمور أخرى مثل القيادة والجرأة والشجاعة إلى آخره من العوامل التي يبدى الأطفال من خلالها قدراتهم.

وكثيراً ما نجد طفلاً يسرق في سن الثالثة عشرة ومع استمرار نموه يصبح مواطناً صالحاً وما أطول فترة النمو التي يصبح بعدها الطفل كائناً اجتماعياً صالحاً.

وكطفل في بداية حياته يتميز بالأنانية ويستمر ذلك حتى بداية البلوغ بعدها يتقبل بصفة عامة فكرة التطابق مع الآخرين. ويصل مفهوم أنا والآخرين إلى النضج عندما يصل الفرد ككل إلى نضج شخصيته.

فإذا ما كان الأطفال محبوبين وأحراراً سيصبحون طيبين وأمناء، والأمانة خاصية مكتسبة وتظهر متأخرة في نمو الإنسان بظهور الملكية الخاصة.

وربما كان العامل الأهم، ظهور صفة الأمانة هو الخوف فليست هناك أمانه مجردة تمنع الفرد من الغش عند ذكر دخله السنوي لحساب الضرائب ولكنه الخوف من افتضاح أمره وما يتبع ذلك من مأساة اجتماعية قد تدمر سمعته وعمله وحتى منزله.

وعندما يكون هناك قانون يقف حائلاً ضد أى خطأ فيجب أن يوضع في الاعتبار أن وجود هذا القانون إنما هو تعبير عن وجود ميل في الأفراد لأن ينجحوا في الاتجاه المضاد أى يخطئوا ويتعدوا حدود القانون.

وهناك عدة قوانين في كل الدول ضد السرقة والنهب والغش وغير ذلك وكلها قائمة على الاعتقاد بأن الناس سيسرقون كلما أتاحت لهم الفرصة وهذه حقيقة ولذا فإننا لا نقول أن هناك أناس أمناء وغيرهم غير أمناء بل إن الأمانة درجات على خط متصل فقليل من الناس مثلاً سوف لا يتهرب من دفع الضرائب الجمركية على ما يحمله من أشياء أى أن يلجأ إلى التهريب.

وقليل أيضاً من الناس لا يغش عندما يطلب منه ذكر إيراده السنوى لحساب الضرائب المطلوبة منه ومع ذلك يضطرب الفرد اضطراباً شديداً عندما يعلم أن ابنه سرق قرشاً.

ومن جهة أخرى فعند تعامل الناس معاً يتميز أغلبهم بالأمانة في أجمل صورها ومن السهل مثلاً أن تضع ملعقة فضية في جيبيك عندما تكون في ضيافة أحد من الناس إذا فكرت في ذلك ولكننا في أغلب الأحيان لا نخطر ببالنا ذلك الأمر ولكن قد يحظى ببالنا أن نعيد استخدام تذكرة القطار أو الأنوبيس التي نسي جامع التذاكر أن يحتمها وأن يأخذها منا.

وكثيراً ما يفرق الأفراد بين ما يخص الفرد وما يخص مؤسسة أو منظمة سواء كانت تتبع الدولة أو تتبع فرداً فلا خطأ في أن يغش الفرد شركة التأمين ولكن الخطأ أن نغش بقالاً.

ولكن الطفل لا يميز بين المواقف بهذه الصورة ودون تمييز يسرق من زملائه في الفصل ومن مدرسيه ومن المحال التجارية.

ولا يسلك جميع الأطفال هذه السرقة ولكن كثير من سيوافقون على المشاركة في السرقات وهذا يعنى أننا سنجد بين أطفال الطبقة المتوسطة ممن هم متحررون و سعداء من نفس النوع من عدم الأمانة الذى يظهر بين الأطفال الأكثر فقراً.

وإننا لنجد كثيرًا من الأطفال يسرقون عندما تتاح لهم الفرصة والسرقة في نظر الطفل فرصة ذهبية عندما يبحث ولكنه عذاب جحيم في الآخرة.

والأطفال لا يسرقون بطبيعتهم فالطفل الذى ينشأ في جو مملوء بالحب سينمو تاركًا سن السرقة ويصل إلى النضج ليكون إنسانًا أمينًا.

٢ - السرقة عند الطفل أو الشخص العصبي:

هذا النوع من السرقة هو الذى أصبح عادة أو سرقة قهرية فهو يميز الطفل العصبي، والسرقة التى يقوم بها هى دليل على نقص الحب والدافع إليها لا شعورى.

وفي كثير من حالات سرقات الأحداث يشعر الطفل بأنه غير محبوب وسرقته إنما هى محاولة رمزية للحصول على شىء ذى قيمة كبيرة.

وسواء كانت السرقة فى صورة نقود أو جواهر أو أى شىء فإن ما تريده الرغبات اللاشعورية هو سرقة الحب، وهذا النوع من السرقة يمكن علاجه فقط بمنح الحب للطفل.

ويصبح الموقف أكثر تعقيدًا عندما تشير السرقة إلى نقص في الحب الأبوي وزيادة في الإحباطات الموجهة نحو الجنس، وهنا تظهر الحالة المسماة (كليبتومانيا) أو هوس السرقة الرمزية القسرية وهي حالة فقد القدرة على التحكم في حركة اليد عندما تمتد إلى شيء ممنوع أو محرم. وهذا النوع من السرقة يعد إنذارًا مهمًا للآباء ليتجهوا إلى خطاهم ويبدءون ثانية في التعبير صراحة للطفل أنهم أخطئوا بما فرضوا عليه من قيود وحرمان، ومن الصعب على المدرس أن يعالج هوس السرقة دون مساعدة من والدي الطفل، كما أن أفضل الأشخاص قدرة على تخليص الطفل من عوامل الإحباط هو الشخص الذي كان سيًا في ذلك.

وقد يكون أيضًا الدور المهم الذي يقوم به الأخصائيون النفسيون والاجتماعيون في محاولة فهم الطفل فهمًا سليمًا وفي معاملته بأسلوب بعيد عن التحقير وفهم سليم للذوابع الحقيقة التي تكمن خلف هذا السلوك أو ذلك.

وكلها تعد عاملًا مهمًا في علاج مثل هذه الحالات واتباع أساليب أخرى خالية من منح الحب والتقدير والقبول يصبح معوقًا للعلاج ومدعمًا للسلوك المنحرف الجانح.

ويخطئ الآباء كثيرًا عندما يلقون اللوم على رفاقاء السوء وأفلام العصابات وضعف السيطرة الوالدية على الطفل لأن الأب كان في الجيش، أو في عمل يتغيب فيه معظم الوقت.

الأمر الذي أدى إلى أن يصبح الطفل غير أمين أن كل هذه العوامل ذات تأثير ضعيف إذا كانت تنشئة الطفل طبيعية وإذا منح الحب والتقبل.

فالعلاج الفعال يكمن في محاولة جادة يبذلها الآباء في تغيير أسلوب معاملتهم للطفل والإنسان السعيد لا يسرق قهرياً ولا باستمرارياً. وهناك من ذكر أشكال السرقة وأنواعها على النحو التالي:-

١ - السرقة الكيدية:

بعض الأطفال يلجئون إلى سرقة الأشياء عقاباً إما للكبار أو لأطفال مثلهم حتى يصيب هذا الشخص المسروق الهلع والفرع وذلك نتيجة وجود كراهية أو دوافع عدوانية تجاه الآخرين.

٢ - سرقة حب التملك:

إن أغلب الأطفال تقريباً مارسوا نوعاً من السرقة فالأمر ينطوي على إشباع حاجة بدأت مع الرغبة للاستحواذ أو التملك على مستوى من العاطفة في مراحل النمو النفسى الأولى برغبة الطفل الرضيع في الاستئثار بالأم وقد ينجح.

٣ - السرقة كحب للمغامرة والاستطلاع:

قد نرى بعض الأطفال ينتظرون غياب حارس الحديقة للسطو على قليل من ثمارها قد لا تكفى طيراً إلا أن دافع السرقة هنا ليس الجوع والحرمان ولكن حب الاستطلاع والمخاطرة وروح المغامرة.

٤ - السرقة كاضطراب نفسي:

إن العوامل النفسية وراء السرقة كثيرة متعددة ولا يمكن تفسير سلوك السرقة بدافع واحد مثل الحاجة إلى التقود أو الجوع أو الاستطلاع، وقد تتفاعل الدوافع النفسية مع عوامل بيئية، وقد تكون السرقة نتيجة حالة نفسية أو ذهانية مرضية يعانيها الطفل وتظهر بشكل اضطراب سلوكي مشير.

٥ - السرقة لتحقيق الذات:

قد يلجأ الطفل إلى السرقة لإشباع ميل أو رغبة يرى فيها نفسه سعيدًا أو ظهرت بصورة أفضل.

٦ - السرقة نتيجة الحرمان:

قد يلجأ الطفل إلى السرقة تعويضًا للحرمان الذي يقاسيه. فقد يلجأ إلى سرقة ما هو محروم منه أو ما يساعده على الحصول على ما حرم منه.

- وقد ذكر بعض العلماء والباحثين أنواعًا أخرى للسرقة منها ما

يلي:

١- سرقة ذكية أو غبية: السرقة الذكية تكون أن يستولى الشخص (الطفل) على ما يريد بطريقتة يصعب اكتشافها.. أما السرقة الغبية ليس فيها الحرص الكافي ويتكشف السارق بسهولة.

٢- سرقة عارضة أو معتادة: السرقة العارضة فيها يخضع الشخص أو (الطفل) للإغراء أو التحريض مرة أو مرات ثم يرجع عنها.. والسرقة المعتادة تكون عديدة ومتكررة ولا يتمكن من الرجوع عنها.

٣- السرقة للحاجة والسرقة للمباهاة: السرقة للحاجة هي لأشياء يحتاج إليها الشخص أو (الطفل) ومحرور منها.. والسرقة للمباهاة فالشخص يسرق لمجرد المباهاة والتفاخر أمام أصدقائه.

٤- سرقة فردية وسرقة جماعية: السرقة الفردية أن يقوم الشخص أو (الطفل) بمفرده بالسرقة دون شريك.. والسرقة الجماعية يحدد فيها رئيس الجماعة دور الشخص (الطفل) في هذه العملية.

مظاهر السرقة: يمكن النظر إلى السرقة من جوانب ومظاهر عديدة أهمها

أ - **العدوان:** السرقة عدوان من طرف السارق على ما يملكه الآخرون.

ب - **الخيانة:** السرقة نقيض للأمانة كفضيلة من الفضائل التي يسعى المجتمع إلى تحقيقها في حياته.

ج - **سوء التكيف:** السرقة مؤشر سوء تكيف الفرد السارق مع الآخرين نتيجة لما يعانيه من مشكلات أو اضطرابات نفسية كالحرمان والإحباط وعدم إشباع الحاجات.

د - سوء التوافق الاجتماعي: السرقة تحمل الفرد على الانسحاب من المجتمع لشعوره بالذنب وهذا يؤدي إلى عدم توافق السارق اجتماعياً مع الآخرين.